المحاضرة الثالثة

حضارة بلاد الرافدين

نبذة موجزة عن تاريخ بلاد الرافدين : بين الشام ومرتفعات إيران منخفض صحراوي يعبره نهرا "الدجلة والفرات" فيحوّلانه إلى سهل خصيب، وهذا السهل هو مانسمّيه اليوم "العراق"، وقد عرف أقدم الحضارات في العالم.

ويعتبر السومريون هم أوّل من قام بدور المؤسّس لهذه الحضارات حيث تمركزوا في البدء عند الطرف الجنوبي من البلاد، ثمّ تتالت هجرات القبائل الشامية من بلاد "أمُّورُّو" وشادت "أكاد" ثم "بابل"، وبعد البابليين جاء الآشوريون واتّخذوا "أشور" ثم "نينوى" عاصمة لهم، وأخيرًا تقلّد الكلدانيون أمور الحكم فأعادوا "بابل" إلى سابق عهدها ومجدها ... فتكون -بهذا- قد تعاقبت على بلاد "ما بين النهرين" خمس دول هي : ("السومريون"، "الأكاديون"، "البابليون"، "الأشوريون"، "الكلدانيون").

- **الديانة والفنون :**

أ- **الديانة** : لقد قدّس السومريون مظاهر الطبيعة، ثمّ طوّروها من معتقدات جعلتهم يعبدون القوى الكامنة وراء تلك الطبيعة كحرارة الشمس، أو قوّة المياه عند فيضانها، ثمّ جعلوا الآلهة على صورة البشر يتّصفون بالقوّة والضعف، فيهم الحسنات وفيهم السيّئات، فاتّسمت ديانتهم بالكثير من أملرات التخريف التي شاعت بعد ذلك عند الأكاديين والبابليين والأشوريين والكلدانيين، ولم يتغيّر منها شيء، فلذلك تُعتبر الحضارة السومرية بمثابة الحجر الأساس بالنسبة لديانات ما بين النهرين.

ب- **الفنون** : وقد تجلّت في وجوه عدّة كالنحت، حيث افتقر جنوب بلاد الرافدين إلى الحجارة فجاءت تماثيل السومريين صغيرة عديمة الإنسجام في توزيع النِّسب بين حجم الرأس وحجم سائر الجسد.

أمّا في الشمال فقد اختلف الأمر حيث كانت البلاد صخرية والمقالع كثيرة، ومهما يكن من الأمر فقد لجأ الفنّانون إلى المعادن الثمينة ليغلّفوا بها آلهتهم لتزداد قيمتها.

كما قد برع السومريون أيضا في الحفر وصناعة الخزف، شأنهم في ذلك شأن المصريين من قبل، كما برعوا بالرسم الذي كان مقتصِرا على تلوين النقوش، لكنّهم قصّروا في حلّ بعض الأمور كمسألة الأبعاد فلم يميّزوا بين الصف الأمامي وما خلفه، كما لم يميّزوا بين وقفة مواجهة ووقفة جانبية.

أمّا في مجال فنّ العمارة فقد اعتمد البناء على الطين المجفّف أو اللبن، حيث شوَوْا الحجارة في الأفران حتّى تصلّبت، لكنّها رغم لك لم تكن تصمد طويلا بسبب الظروف الطبيعية وأهمّها الفيضانات فتعرّضت المقابر والمعابد والقصور للإندثار، وكانوا كلّما تهدّم بنيان عمدوا إلى البناء فوق أنقاضه، فتراكمت الأنقاض وتحوّلت إلى تلول تلك التي عُثِر فيها على آثار حضارات مابين النهرين.

- **الفكر والعلوم** : خلفت شعوب ما بين النهرين الكثير من الآثار الفكرية، وحفظ معظمها في مكتبة أشور، وقد تقدّموا في العلوم فتركوا منجزات لا يزال لها أثرها في حياتنا اليومية، كما عبّرت عن آدابها بالعديد من الأساطير والملاحم، أمّا عن مظاهر التقدّم العلمي فيكفي الإشارة إلى ما وصلوا إليه في مجال "التقويم" كنتيجة لاهتمامهم الكبير "بالتنجيم"، كما برعوا في مجال "القياس والعدد" حيث كانوا يرمزون للعدد 1 بـ (∇) ثم يكرّرونه حتّى 9، أمّا بالنّسبة للعدد 10 فيرمزون له بـ (◁) إلى غير ذلك.
- **أمّا عن الطبّ** فلم يكن مستقلّا عن الدين حيث كان الكهنة هم الأطبّاء، وما يعجزون عنه علميا يضعون له تفسيرات روحية لأنّ المريض عندهم هو مخطئ لذلك تخلّى عنه الإله فدخل الشيطان جسمه ليعذّبه.
هذا، ولعلّ من أبرز مظاهر الفكر والعلوم في الحضارة العراقية العريقة وضعهم لأسس الكتابة "المسمارية" التي سبق وأن تحدّثنا عنها والتي أخذها عنهم الأكّاديون وطوّروها فأضحت أيسر استعمالا وأوفى أداءً.
- **أمّا عن الأدب** فليس ثمّة أدب قديم وأدب حديث، كما اعتدنا تصنيف الآداب العالمية اليوم، فكلّ الآثار الأدبية خليط، كلّ دولة تأخذ عن سابقتها، وكل شعب يأخذ سلفه، دونما اهتمام بالتطوير.
وقد تشعّبت موضوعاته فتناولت القضايا الدينية والفكرية، وتناولت الرثاء بشكل لافت، أمّا الأدب الوجداني الدنيوي فقد كان نصيبه قليلا...